

## التراث اللغوي السرياني القديم

### إطاره التاريخي والجغرافي

فاروق اسماعيل<sup>(1)</sup>

#### أولاً: مقدمة

ترتبط أهمية اللغة بمدى عمقها التاريخي، ومبلغ انتشارها الجغرافي، وعدد مستخدميها. وتتجلى منزلتها في غنى تراثها اللغوي الكتابي والشفهي، وتنوع موضوعاته، ودرجة الإبداع فيه. ولتوضيح ذلك في ما يتعلق بالتراث اللغوي السرياني تبرز مشكلة قلة البحوث السابقة؛ ولا سيما المؤلفة باللغة العربية، ويرجع السبب في ذلك إلى الغبن الذي لحق بالسريانية في العصر الحديث، وما يزال. فعلى الرغم من إدراك مدى عراقية جذور هذه اللغة في سورية والمناطق المجاورة لدى الدوائر العلمية؛ فإن القوى السياسية صاحبة القرار لم تلتفت إلى ذلك، ولم يجد أبناء السريانية المجال للعناية بتراثهم اللغوي عناية مناسبة. ومن المؤسف أن هذه اللغة (السورية) أهملت، ولم تنشأ في سورية أي مؤسسة علمية تُعنى بالبحث فيها، وجمع تراثها، وتوثيقه، بينما لقيت الاهتمام في خارج موطنها منذ القرن السادس عشر الميلادي<sup>(2)</sup>، ثم توسعت دائرة الاهتمام بها منذ القرن الماضي في مؤسسات عدة في أميركا وكندا والسويد والدول الأوروبية، ووجد أبناء السريانية المهاجرون المجال والدعم للمشاركة في ذلك. وينطبق ذلك على لغات الشعوب الأخرى غير العربية في سورية، ولا شك في أن ذلك يعكس طبيعة الحكم السياسي فيها.

ولذلك، فإن هدف هذا البحث إلقاء الضوء على الشواهد الكتابية للتراث السرياني القديم (قبل الإسلام)، المكتشفة من خلال التنقيبات الأثرية وغيرها، ومن ثم توضيح الإطار الجغرافي لانتشارها شمالي سورية، والمدى الزمني لها، ومن ثم توضيح منزلته وأهميته إلى جانب تراث الشعوب الأخرى في المنطقة.

(1) أكاديمي وباحث سوري، أستاذ فقه اللغات السامية وحضارات الشرق القديم في جامعة برلين الحرة.

(2) كان البلجيكي أندرياس ماسيوس Andreas Masius (1514 - 1573) أول من قصد مناطق انتشار اللغة السريانية، وتعلم على موسيس المارديني، ثم أسهم في الترجمة منها، ووضع كتاباً في قواعدها. راجع:

Butts, A. M. The Classical Syriac Language. in: D. King, The Syriac World, (Routledge Handbooks Online, 2018), p. 235.

ولا شك في أنه سيكون بحثاً مفيداً في فهم الجذور التاريخية للسُريانية، ومراحل تطورها خلال مدة طويلة من الزمن ضمن السياق العام لتاريخ المنطقة. وينتج البحث منهجاً وصفيًا يقوم على بسط ما هو معروف مكتشف، وتقديم وصف عام للمواد التراثية يفيد في تحقيق أهداف البحث، واستنتاج جملة من الحقائق المتصلة بتراث هذا الشعب السوري.

### ثانياً: الجذور الآرامية للسُريانية

تنتهي اللغة الآرامية إلى أسرة لغات الشرق القديم، المصطلح على تسميتها باللغات (السامية)، وتضم اللغات الأكديّة (البابلية، الآشورية)، الأوغاريتية، الفينيقية، العبرية، العربية. وهي اللغات التي كانت مستخدمة في العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام منذ أواسط الألف الثالث ق.م.

تعد اللغة السُريانية أحد أشكال التطورات التي مرت بها اللغة الآرامية عبر التاريخ، فقد تميزت الآرامية بسعة الإطار (الجغرافي) لانتشارها، وطول المدى (التاريخي) لاستخدامها، ما قاد إلى ظهور لهجات منها في معظم مناطق انتشارها، وهو أمر طبيعي في طبيعة العلاقة بين اللغة واللهجات، لأن مثل ذلك الإطار والمدى يمنعان الاحتفاظ بوحدة اللغة أمداً طويلاً. ((فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها. ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها)).<sup>(3)</sup>

وقد حصل هذا في الآرامية، حيث انبثقت عنها أكثر من عشر لهجات متميزة، تختلف في درجة القرب من الأصل، وفي شدة الصلات اللغوية في ما بينها. ويشكل الموقع الجغرافي المساعد على الاحتكاك عاملاً أساساً في ذلك، لذلك نجد أن آرامية مملكة تدمر السورية وآرامية مملكة بيت عرابيا في شمال غربي العراق، ومركزها حطرا (الحضر، جنوبي الموصل) هما الأقرب إلى السُريانية التي تحوّلت من لهجة آرامية إلى لغة مستقلة في مملكة أُسروين Osrhoene ومركزها إديسّا/رُها (أورفا في جنوبي تركيا) التي كانت تجاور المملكتين السابقتين.

وغدت السُريانية بعد ذلك لغة مرتبطة بالتراث الديني المسيحي والشعائر الكنسية، وكتبت بها مصنفات دينية وتاريخية كثيرة، وانتشر استخدامها في مناطق المشرق العربي معظمها، وأجزاء من تركيا وإيران، بل وصلت حتى كيرالا في جنوبي الهند وحدود الصين.

(3) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط 9، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، 172.

يمكن تقسيم تاريخ اللغة الآرامية إلى مراحل أساس عدة، هي الآتية:<sup>(4)</sup>

### 1. الآرامية القديمة (القرن 9-6 ق.م)

ترتبط بدايات اللغة الآرامية بالممالك التي أنشأها الآراميون في مناطق سورية الحالية معظمها، وفي جنوبي شرق تركيا، خلال القرون الثلاثة (9-6 ق.م)، وقد كانت ممالك مدن مرتبطة بمدينة مركزية، تتبع لها أحياناً بعض المدن الصغيرة وعدد من القرى، وتحكم فيها أسرة متميزة ذات شأن، يتولى وجهاًؤها أو شيوخها الحكم وراثياً. ولذلك لصقت صفة (بيت) بمعظمها، وحملت أسماء منسوبة غالباً إلى مؤسسها. وقد عانت تلك الممالك الحملات العسكرية الأشورية المتكررة على مناطقها، ولم تكن قادرة على مواجهة الجيش الأشوري الضخم وإجراءاته العنيفة، فخضعت للسلطة الأشورية واحدة تلو الأخرى حتى أواخر القرن الثامن ق.م، حيث أخضع الملك الأشوري سرجون الثاني آخرها (مملكة حماة) بعد معركة قرقر (الثانية) قرب جسر الشغور سنة 720 ق.م، وهجر قسمًا كبيرًا من سكانها إلى بلاد آشور، ونقل آشوريين إلى مناطق حماة.

ويمكن تقسيم تلك الممالك إلى ثلاث وحدات جغرافية متصلة (الشكل 1)<sup>(5)</sup>، تشمل مناطق خريطة سورية الحالية معظمها، باستثناء المنطقة الساحلية، وأجزاء في جنوبي شرق تركيا، كانت تسمى مجتمعة (بلاد آرام)، هي:<sup>(6)</sup>

1. ممالك الجزيرة الفراتية: إمارات تيمانا (في السفوح الجنوبية لسلسلة جبل طور عابدين)، بيت بخياني (في منطقة الجزيرة العليا أو مثلث الخابور)، بيت زماني (في مناطق آمد «ديار بكر»)، بيت عديني (بين وادي البليخ ومناطق غربي الفرات حتى حوالي منبج)، إمارات الفرات الأوسط (المناطق السفلية من وادي الخابور).
2. ممالك في سوريا الشمالية: بيت أجوشي (بين حوض الساجور قرب الفرات ومناطق شمالي

(4) عن المراحل التاريخية للآرامية وشواهدا المكتشفة؛ راجع: فاروق إسماعيل، اللغة الآرامية القديمة، ط1، (حلب: منشورات جامعة حلب، 1997)، 57-68. وكذلك:

Beyer, K. The Aramaic Language. Its Distribution and Subdivisions, Transl. John F. Healey, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1986; Yildiz, Efrem The Aramaic Language and Its Classification.; Kaufman, S. A. Aramaic. Anchor Bible Dictionary, volume IV, 173–179; Müller-Thomas, Ch. Einführung in die Geschichte und Grammatik der alten aramäischen Sprache, Studienarbeit, Uni. Erlangen-Nürnberg, Grin Verlag, 2004; Niehr, H. (Ed.) The Aramaeans in Ancient Syria, Leiden, (Boston: Brill, 2014).

(5) الشكل (1) في آخر البحث.

(6) للاستزادة من تاريخ هذه الممالك؛ راجع: فاروق إسماعيل، اللغة الآرامية القديمة، 10-33.

حلب وجنوبها)، يأدي أو شمال (بين جبل كرد داغ شرقاً وجبل الأمانوس غرباً، وحتى سهل العمق جنوباً).

3. ممالك في سوريا الوسطى والجنوبية: مملكة حماة ولعش (مناطق حماة وإدلب)، ومملكة دمشق (دمشق ومحيطها).

4. إمارات آرامية صغيرة أقامتها قبائل في غربي دمشق وجنوبها، وهي: صوبا في أطراف سهل البقاع، رحوب في منطقة مجرى نهر الليطاني، معكا في منطقة الجولان. وتقتصر أخبار هذه الإمارات على ما ورد في كتاب (العهد القديم).

اكتشفت نقوش كتابية مدونة على أنصاب وكتل حجرية في مراكز عدد من هذه الممالك،<sup>(7)</sup> ويرتبط معظمها بالقصور الملكية، وتعكس موضوعاتها سعي الحكّام إلى تثبيت أركان كياناتهم السياسية؛ فكانت معاهدات ووصف تحالفات وانتصارات وتدويناً لمآثر الحكام وأعمالهم.

وثمة نقش من هذه المرحلة التاريخية وجد في موقع قلايجي قرب بلدة بوكان (بين مدينتي مهباد وسقز في إقليم كردستان-إيران) يلفت الانتباه بموقع وجوده المتطرف البعيد عن المناطق الأرامية. والراجح أنه يعود إلى نحو 740 ق.م، ويمثل اتفاق إحدى الممالك الأرامية في شمالي سورية مع مملكة مانيا التي كانت تسيطر هناك على مناطق جنوبي بحيرة أورميا، بهدف التعاون ضد المملكة الآشورية التي كانت تشكل خطراً على القوتين.<sup>(8)</sup>

انتهى النفوذ السياسي للآراميين، ولكنهم على المستوى الشعبي ظلوا فاعلين في مناطقهم الخاضعة للسيادة الآشورية خلال القرن السابع ق.م، واستمر التدوين بلغتهم إلى جانب اللغة الأكديّة (بلهجتها الآشورية، أو الشمالية)، أو معاً بصيغة نصوص ثنائية اللغة، مثل ما يتضح من نصوص مكتشفة في نينوى (الموصل) وكلخو (نمرود، جنوب شرقي الموصل) وآشور (قلعة الشرقاط، بين الموصل وتكريت)، وبورمارانا (تل شيوخ فوقاني، جنوبي جرابلس). واكتشفت في موقع تل شيخ حَمَد (نحو 70 كم شمال شرقي مدينة دير الزور) الذي حمل في الماضي اسم دور كتليمو، ثم مجدل، وكانت تقوم فيه مدينة آرامية خاضعة للإدارة والسيادة الآشورية خلال القرن السابع ق.م، ولذلك دُوّنت وثائقها باللغتين الأكديّة والآرامية.<sup>(9)</sup>

(7) اكتشفت في جوزان (تل حلف، قرب رأس العين)، الفخيرية قرب رأس العين أيضاً، خَدَاتو (أرسلان طاش، قرب كوباني)، البريج شمالي حلب، النيرب قرب حلب، السفيرة جنوب شرقي حلب، أفس قرب إدلب، مدينة حماة، شمال (زنجيرلي، شمال شرقي إصلاحيّة في ولاية غازي عنتاب). للاستزادة: راجع: فاروق اسماعيل، اللغة الآرامية القديمة، 147-336.

(8) فاروق اسماعيل، «نقش آرامي قديم من غربي إيران»، مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ع 10، (الرياض: شباط/فبراير 2020)، 1-20.

(9) فاروق اسماعيل، نقوش آرامية من دور كتليمو، (الرياض: منشورات الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الرياض، 2015).

وانتشرت الآرامية خلال القرنين السابع والسادس ق.م في مناطق بعيدة عن الموطن الأم، مثل ما يتضح من نقوش مكتشفة في مصر (سقاره ومنف/ ممفيس، قرب القاهرة)، هرموبوليس (الأشمونين، جنوبي المنيا)، جزيرة الفيلة (أسوان)، وفي الأردن (تل السعيدية، غربي جرش)، وفي إيران (إقليم لورستان).

### أ.الآرامية الدوليّة (القرن 6-4 ق.م)

دخلت الآرامية طورًا جديدًا مع سيطرة الأخمينيين في إيران في 538 ق.م، واتسع نفوذهم غربًا نحو العراق وسورية، وتشكيلهم إمبراطورية امتدت من بحر إيجه حتى مناطق الهندوس ومن بحر قزوين حتى الحدود الجنوبية لمصر. ولما كانت الآرامية قد انتشرت على نطاق واسع قبل ذلك في كثير من المناطق التي أخضعوها؛ فقد جعلها ملكهم دارا الأول (521-486 ق.م) لغة رسمية في الإمبراطورية الأخمينية التي ظلت قائمة حتى مجيء قوات الإسكندر المقدوني واحتلال المنطقة برمتها سنة 331 ق.م.

يُصطلح على تسمية لغة النقوش الآرامية التي تعود إلى هذه المرحلة بالآرامية الدولية أو الإمبراطورية، وقد فرضت الآرامية خلالها وجودها على سائر اللغات المستخدمة، إذ وصلتنا شواهد وفيرة عليها من مناطق كثيرة متباعدة، وتنوعت موضوعاتها ومجالات استخدامها، وبرزت فيها خصائص لهجية نظرًا لانتشارها الجغرافي الواسع، وتبادلت التأثير والتأثر مع اللغات الشائعة آنذاك؛ ولاسيما الفارسية القديمة. ويمكن تحديد إطار انتشارها الجغرافي، وشواهد المكتشفة كالآتي:<sup>(10)</sup>

- في إيران: الترجمة الآرامية لنقش بيستون (شمال شرقي كرمنشاه) المدون بثلاث لغات (الأكدية، العيلامية، الفارسية القديمة)، ونقوش كثيرة ضمن المحفوظات الملكية في برسيبوليس (تخت جمشيد، شمال شرقي شيراز)، ونقوش آرامية مرافقة لنصوص مسمارية عيلامية عثر عليها في العاصمة العيلامية سوسا (شوش في الأحواز).

- في مصر: وثائق جزيرة الفيلة (إلفنتين Elephantine) في نهر النيل قرب أسوان. وتسمى الجزيرة في الوثائق المصرية والآرامية (جِب) ثم سماها الإغريق (إلفنتين) لشهرتها بالفيلة وبعاجها. وكان يستوطن الجزيرة من أواخر القرن السادس حتى نهاية الرابع ق.م جنود مرتزقة يهود وأراميون لحماية الحدود المصرية الجنوبية. وقد عثر فيها على مئات الوثائق الآرامية، معظمها من القرن الخامس ق.م، وهي مراسلات ونصوص اقتصادية وقانونية ورسائل شخصية، إضافة إلى ترجمة آرامية لنقش بيستون مدونة على ورق البردي. ولعل

(10) فاروق اسماعيل، اللغة الآرامية القديمة، 59-61.

أشهر ما وجد فيها النص الآرامي المعروف بحكم أحيقار، الذي كان قبل ذلك (القرن السابع ق.م) وزيراً في البلاط الآشوري.

- في الجزيرة العربية: النقوش المكتشفة في تيماء ومناطقها، شمال غربي المملكة العربية السعودية، وتعود إلى القرن الخامس ومطلع الرابع ق.م.<sup>(11)</sup>

- آرامية كتاب (العهد القديم): هي لغة المقاطع الآرامية الواردة في كتاب (العهد القديم)، وهي كلمتان في سفر التكوين (الاصحاح 31: 47) وجملة في سفر إرميا (10: 11) وإصحاحات في سفر عزرا (من 4: 8 حتى 6: 18، 7: 12-26) وفي سفر دانيال (من 2: 4 حتى 7: 28). تتضمن إصحاحات سفر عزرا بعض الوثائق الرسمية للإدارة الفارسية، ويعود تأليفها إلى القرن الرابع ق.م، أما صياغتها المعروفة فتعود إلى القرن الأول ق.م. أما سفر دانيال فيتحدث عن مصير دانيال مفسر الأحلام اليهودي المسي إلى مملكة بابل الكلدية خلال القرن السادس ق.م. وقد أنجزت صياغته المعروفة في 164 ق.م. لقد اعتُمد في صياغة السفرين النهائية على مخطوطات كثيرة، ولذلك لم تخل من الاضطراب والابتعاد عن الأصل، وتأثرت بالصيغ والأساليب اللغوية المتأخرة (القرنين الثاني والأول ق.م).

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك خط عبري خاص، بل تم تبني الخط الآرامي المرع منذ القرن الخامس ق.م في كتابة النصوص باللغة العبرية.

وعثر على شواهد أخرى متفرقة من الآرامية الدولية في جنوبي العراق: نيبور (نقر) قرب عفك في محافظة القادسية، لارسا (تل السنكرة) قرب القطيعة في محافظة ذي قار، وفي فلسطين (وادي دالية شمالي أريحا)، والأردن (الكرك) وباكستان (تكسيلا) وأفغانستان (قندهار) وأرمينيا وتركيا.<sup>(12)</sup>

### ب. الآرامية في عهد الإسكندر وخلفائه (القرون 4-1 ق.م)

قلّت العناية بالآرامية خلال حكم الإسكندر وخلفائه السلوقيين (331-64 ق.م)، وتقلص الإطار الجغرافي لانتشارها، وتأثرت باليونانية. أدى ذلك إلى ذوبانها في لغات أخرى أو هجرها واستبدال أخرى بها مثل ما حصل في الممالك الناشئة في مناطق إيرانية، صارت تدون بلغاتها الخاصة.

ولكنها بالمقابل استمرت في مناطق شمالي غرب الجزيرة العربية وجنوبي الأردن وأطراف البادية

(11) سليمان بن عبد الرحمن الذيب، نقوش تيماء الآرامية، ط 2، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2007).

(12) Beyer, K. The Aramaic Language; Donner, H. - W. Röllig (1971, 1973, 1976) Kanaanäische und aramäische Inschriften, 3. Edition, Otto Harrassowitz, Wiesbaden; Allchin, F. R.-Norman, K. R. Guide to the Asokan Inscriptions, South Asian Studies, vol. 1, pp. 43-50, 1985, p. 46.

العربية- السورية، ويرتبط ذلك بنمو الشعور بالهوية الخاصة لدى الآراميين والعرب، كردّ فعل تجاه الحضارة الهلنستية التي صارت تغزو المنطقة. ولذلك نجد وفرة في التراث اللغوي الآرامي المكتشف في مملكة الأنباط (ومركزها بترا في جنوبي الأردن) التي امتدت شمالاً حتى جنوبي دمشق، وجنوباً في شمال غربي السعودية، وأجزاء من فلسطين وشبه جزيرة سيناء، وتعود شواهد الآرامية النبطية (نحو تسعة آلاف نقش كتابي) إلى ما بين أواخر القرن الرابع ق.م والقرن الثالث الميلادي.<sup>(13)</sup> ومن المعروف أن الخط الآرامي النبطي أثر وأسهم في ظهور الكتابة العربية الشمالية (الخط النسخي) بدءاً من أواخر القرن الثالث م،<sup>(14)</sup> ثم ذابت النبطية في العربية خلال القرن الرابع الميلادي.

### ت. الآرامية في زمن ظهور المسيحية وانتشارها (القرون 1-3 م)

تابعت الآرامية تطورها وانتشارها، وبرز ارتباطها خلال القرون الأولى بعد الميلاد بالديانة اليهودية، فتولدت لهجتان لدى اليهود في فلسطين (آرامية يهودا في الجنوب، آرامية السامرة في الشمال)، ولهجة آرامية لدى اليهود في بابل. وارتبطت ببدايات المسيحية في فلسطين، فظهرت لهجة آرامية خاصة بمسيحي فلسطين في الجليل، تكلم بها السيد المسيح. وانتشرت في الممالك العربية الناشئة، ولا سيما في مدينتين، هما:

- تدمر في أطراف البادية السورية التي كان يقطنها آراميون وعرب. شاع استخدام الآرامية فيها عندما كانت خاضعة لحكم الرومان، منذ أواسط القرن الأول ق.م، وبلغ ذروته خلال استقلال أسرة أذينة بالحكم فيها (250-274م). دُوّنت بالآرامية التدمرية مئات النقوش الكتابية المكتشفة في تدمر، وبعض المواقع المحيطة بها في بادية الشام، وفي دورا-أوربوس (صالحية الفرات، بين الميادين والبوكمال)، وعثر على نقوش متفرقة منها في مناطق بعيدة (قرب القدس، حربتا شمالي بعلبك، مصر، الجزائر، روما، رومانيا، المجر، إنكلترا)، وقد كانت هذه مدوّنة على شواهد قبور جنود تدمريين كانوا يخدمون في الجيش الروماني.<sup>(15)</sup>

تشكل الآرامية التدمرية أحد الروافد المهمة لفهم الآرامية عامة، وتتضمن كثيراً من المظاهر اللغوية القديمة، وتبدو ذات صلة وثيقة بالسُريانية، وتظهر فيها كلمات عربية ويونانية أيضاً. وقد

(13) راجع: سليمان بن عبد الرحمن الذيب، مدوّنة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، جزان، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2010)؛ المؤلف نفسه: قواعد اللغة النبطية، ط 2، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2011).

(14) محمد محفل، «في أصول الكتابة العربية»، مجلة دراسات تاريخية، ع: 6، (دمشق: 1981)، 66.

(15) Beyer, K. The Aramaic Language; Hillers, D. R.- Cussini, E. Palmyrene Aramaic texts. (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1996).

تطور الخط الآرامي في تدمر، وصار يشبه الخط السرياني القديم.

– مدينة حطرا (حاليًا الحضر، نحو 50 كم جنوب شرقي الموصل)، وقد كانت مركز مملكة تعرف باسم عَرَبَايا، سكانها آراميون وعرب. نشأت فيها مملكة عربية خاضعة لسيادة البارثيين (الإيرانيين) في أوائل القرن الأول م، ودامت حتى 241 م. اكتشفت فيها مئات النقوش الآرامية، وتعود إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد.<sup>(16)</sup>

تعاصرت هذه اللهجات الآرامية مع انبعاث السُريانية لغة مستقلة ذات صلوات لغوية معها.

## 2. تراث اللغة السُريانية القديمة (القرون 1-3م)

أشرنا في ما سبق إلى أن تحوّل السُريانية من لهجة آرامية إلى لغة مستقلة حصل ضمن نطاق مملكة أُسُروين ومركزها إديسّا/رُها، وقد شمل نطاقها الجغرافي خلال القرون (1-3 م) المناطق الواقعة بين نهري الفرات والبليخ، وتوسعت أحيانًا شرقًا حتى الخابور، ومناطق شمالي أورفا (الشكل 2)، ولذلك تسمّى بأرامية الرُها أو سُريانية الرُها *Suryā-yā Urhā-yā*. ويرتبط ذلك بأمرين؛ سياسي وديني، هما:

– منزلة السريان المتميزة في تاريخ هذه المملكة الذي امتدّ بين 132 ق.م- 242م. فقد كان حكام المملكة من العرب، ولكن الدور الأساسي في المجالات الإدارية والثقافية فيها كان للسُريان، ففرضت لغتهم وجودها، وأضحت لغة المراسلات والمحفوظات الملكية الرسمية في المملكة.

– وصلت التعاليم المسيحية إلى مناطق المملكة في أواسط القرن الثاني الميلادي، وتمت ترجمة التوراة إلى السُريانية (بشيتّا) في المدة نفسها، فلعبت دورًا مهمًا في تنقية اللغة ووضع أسس معيارية لبنيتها الصرفية والنحوية، ونشّطت الحياة الفكرية الدينية، وبدأت الوثنية تتراجع مع انتشار الفكر الديني المسيحي، وشيئًا فشيئًا أضحت إديسّا/رُها عاصمة الثقافة المسيحية السُريانية، والسُريانية لغة الكنائس الآرامية الشرقية عامة. ومع ازدياد وتيرة انتشار الديانة المسيحية انتشرت اللغة السُريانية شرقًا عبر المناطق الخاضعة لنفوذ مملكة البارثيين الإيرانية. وبدأ السُريان ينبذون تسمية الآراميين والآرامية لأنها تذكرهم بمراحل الوثنية، ويعتمدون اسمي السُريان والسُريانية لهم وللغتهم.<sup>(17)</sup>

(16) Beyer, K. Die aramäischen Inschriften aus Assur, Hatra und dem übrigen Ostmesopotamien: (datiert 44 v. Chr. bis 238 n. Chr.). Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1998; Teixidor, J. The Kingdom of Adiabene and Hatra, Berytus, vol. 17, 1967, pp. 1–11.

(17) Segal, J. B.-Z. Edessa: "The Blessed City". Oxford: Clarendon Press, 1971.



تعود شواهد النقوش السُريانية القديمة المكتشفة إلى القرون الثلاثة الميلادية الأولى، وتبلغ أكثر من 150 وثيقة مكتشفة حتى الآن،<sup>(18)</sup> وهي مدونة على مواد صلبة وجلدية، يعود أقدمها إلى السنة الميلادية السادسة،<sup>(19)</sup> ولكن معظمها يعود إلى ما بين 73-265 م. إنها مدونة بخط يشبه الخط الآرامي التدمري على شواهد قبور، أو لوحات ضخمة من الفسيفساء، أو على كتل حجرية تخلد ذكرى تشييد أبنية، أو كتابات على مسكوكات تتضمن أسماء ملوك سلالة أبجر الحاكمة. وهي بشكل عام موضوع كتاب مرجعي أساسي عنها صدر سنة 1999،<sup>(20)</sup> ثم اكتشفت نقوش أخرى أيضًا بعد ذلك التاريخ.

وجدت بصورة أساس في أورفا والبلدتين المجاورتين لها: سروج (44 كم في الجنوب الغربي) وحران (48 كم في الجنوب الشرقي)، وفي مواقع متفرقة على وادي الفرات حتى دورا-أوروبوس جنوبًا. وفي ما يأتي عرض موجز لها:

1- نقوش من مدينة أورفا، تشمل:

- نقوش مدونة على لوحات فسيفساء وجدت في مقبرة العاصمة إديسا/رها، معظمها معروض في متحف الفسيفساء في أورفا.
- نقوش وجدت في مواقع عدة ضمن مدينة أورفا:

Halil Rahman Camii, Mall Moğarasse, Şeih Maksud, Eyüp Mahallesi, Kara Köprü, Kırk Mağara, Samsat Kapi, Şehitlik Mahallesi, Vatan Okul.

- نقوش على قبور غربي القلعة في الجنوب الغربي من المدينة (Kale Eteği)
- نقوش مدونة على لوحات فسيفساء معروضة في الحديقة الحلبية Haleplibahçe في أورفا.<sup>(21)</sup>

2- نقوش من حران جنوب شرقي أورفا ومحيطها، تشمل:

- نقش من حران، اكتشفته بعثة قسم الآثار في جامعة حران سنة 2016 مدونًا على تمثال

(18) Healey, John F.: Religion and Law in the Ancient Edessa/ Urfa Region during the Period of the Abgarid Kings and in the Early Roman Period, in: Önal, M.- S. I. Mutlu- S. Mutlu (Ed.) Harran ve çevresi Arkeoloji, Şanlıurfa, Şurkav Yayinlari, 2019, 231.

(19) Butts, A. M., 225.

(20) Drijvers, H. J. W. - J. F. Healey, The Old Syriac Inscriptions of Edessa and Osrhoene: texts, translations and commentary (Handbuch der Orientalistik I/42), (Leiden/Boston MA/Cologne: E. J. Brill, 1999).

(21) Karabulut, H. - M. Önal - N. Derwişoğlu, Haleplibahçe Mozaikler, Şanlıurfa/Edessa, (Istanbul, Arkeoloji ve Sanat Yayinlari, 2011).

امرأة، وجد نصفه السفلي فقط، ارتفاعه نحو 75 سم، يعود إلى حوالي 180 م.<sup>(22)</sup>  
 - نقوش اكتشفت في موقع خربة سومتر Soğmatar Harabesi قرب حرّان، في أواسط القرن  
 الماضي، تعود إلى 160-170 م.<sup>(23)</sup>

3- نقوش من سُروج (Marcopolis / Batnae) جنوب غربي أورفا، أهمها نصّان قانونيان مدونان  
 على قطع جلدية، يعودان إلى 240 م.<sup>(24)</sup>

4- نقش من بيرجيك التي تبعد حوالي 100 كم غربي أورفا، على الفرات، وكانت تسمّى قديماً بيرثا  
 "القلعة". كشف في الموقع ضمن مدافن عن عدد من النقوش، منها أقدم النقوش السُريانية المكتشفة  
 حتى الآن، ويعود إلى القرن 6 م.<sup>(25)</sup>

5- نقوش من أفاميا الفرات Apamea المدينة التي بناها السلوقيون على الضفة الشرقية للفرات  
 قرب بيرجيك، ومقابلها على الضفة الغربية زويغما Zeugma.

6- نقوش مدونة على لوحات فسيفساء معروضة في متحف الفسيفساء في مدينة غازي عنتاب

Zeugma Mozaik.Müzesi, Şuayip-Şehri, Kabahaydar, Mar-Ya'qub d-Napšata, Tell  
 Matin, Tell Mas'udiyeh, Tell Mağara

7- نقوش على قطع فخارية من صرّين (30 كم جنوبي كوباني)، من القرن الثالث م.<sup>(26)</sup>

8- نقوش من دورا-أوروبوس (صالحية الفرات، بين الميادين والبوكمال) التي كانت مركزاً عسكرياً  
 للإمبراطورية البارثية (الإيرانية) ثم الرومانية، اكتشفتها البعثة الأثرية الأمريكية-الفرنسية المشتركة

(22) Önal, M. – Alain Desremaux, The Fragment of Woman Statue with Syriac Inscription was found in Harran Excavation, in: Önal, M.- S. I. Mutlu- S. Mutlu (Ed.) Harran ve çevresi Arkeoloji, Şanlıurfa, (Şurkav Yayinlari, 2019), 246.

(23) Segal, J. B. Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa, Anatolian Studies, Vol. 3, (1953), 97-119; Segal, J. B. Some Syriac Inscriptions of the 2nd-3rd Century A.D., Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 26, (1954), 2-3; Albayrak, Yusuf, Soğmatar. in: Önal, M.- S. I. Mutlu- S. Mutlu (Ed.) Harran ve çevresi Arkeoloji, Şanlıurfa, (Şurkav Yayinlari, 2019), 271-282.

(24) Healey, John F., Religion and Law, 237.

(25) Gonzales, M. E. I. – P. F. Martinez, Hallazogs rupestres en torno a la Antigua rute de Zeugma a Edessa. in: Blanco, A. G. – G. M. Séiquer (Ed.) Romanizacion y Cristianismo en la Siria Mesopotamica, Antiq. Crist., (Uni. de Murcia XV, 1998)119-127. ).

(26) Teixidor, J. Los Ostraca siriacos. in: Blanco, A. G. – G. M. Séiquer (Ed.) Romanizacion y Cristianismo en la Siria Mesopotamica, 115-117. Brock, S. P. A brief outline of Syriac literature, (Kottayam: St. Ephrem Ecumenical Research Institute, 1997).

بإدارة ميخائيل روستوفتسيف M. Rostovtzeff سنة 1933، ضمن مجموعة (نحو 150) وثائق باليونانية واللاتينية والآرامية التدمرية، مدونة على قطع حجرية وجلدية، تشير إلى علاقات تجارية مع مملكة أوسروين في السنوات الأخيرة من وجودها (240-243م)، وهي محفوظة حاليًا في مكتبة Beinecke في جامعة ييل الأمريكية.

9- نقش مدون على لوحة فسيفساء معروضة في متحف دلاس Dallas للفن، في ولاية تكساس الأمريكية، مؤرخ بسنة 194 م.

10- رسالة مارا بن سرافيون (من سميساط) التي وجهها إلى ابنه وهو أسير لدى البارثيين الإيرانيين، قصد منها توعية ابنه، ونقل فيها أفكاره الفلسفية. يختلف الباحثون في تأريخها ضمن إطار القرون (1-3 م)، ويرجح أنها تعود إلى الموجه إلى أواخر القرن الأول- بداية الثاني الميلادي.<sup>(27)</sup>

11- (حوار المصير أو كتاب قوانين البلدان) أشهر أعمال بر ديصان (ابن نهر ديصان، أحد رافدي نهر البليخ) (154-222م) الذي كان يعمل ضمن بلاط الملك أبحر الثامن. تعكس كتاباته وأفكاره مرحلة اختلاط المسيحية بالوثنية، فقد كان يعلن مسيحيته، ولكن أفكاره الفلسفية كانت تتوافق مع الثقافة الهلنستية المختلفة، ولذلك عدّه المسيحيون اللاحقون مهرطًا زنديقًا لخلطه بين المعتقدات الوثنية والمسيحية. وتعكس نقوش القرن الثالث الميلادي بصورة عامة معتقدات وثنية، ما يشير إلى أن قسمًا كبيرًا من السكان لم يكن قد اعتنق المسيحية بعد.<sup>(28)</sup>

بدأت في أواسط القرن الثالث م، بعد انهيار مملكة أسروين، مرحلة جديدة في تاريخ التراث اللغوي السُرياني، تُعدّ العصر الذهبي للغة والأدب، تميزت بانتشار السُريانية على نطاق واسع، فقد انتشرت خلال القرن الرابع الميلادي في شتى المناطق التي اعتنق سكانها المسيحية ضمن إطار الإمبراطورية الساسانية (224-651 م)، وشاعت في بلاد الشام والعراق، وفي المناطق الشرقية من الجزيرة العربية (بيت قطرايا، بيت مازونيا)، وأوصلها المبشرون الدينيون إلى مناطق في الهند والصين. وبرز خلال القرن الخامس م كتاب سريان كثيرون، ونشطت حركة الترجمة من اليونانية، فترجم كتاب الإنجيل (العهد الجديد) من اليونانية، وشاعت كتابة القصص والسير بالسُريانية. واستمر ازدهار الحركة الثقافية السُريانية خلال القرن السادس الميلادي، وظهر عدد أكبر من الكتاب والأدباء والمترجمين، ولكن ذلك كله بدأ يتراجع في القرن السابع الميلادي أمام انتشار العربية مع الفتوحات الإسلامية وسيادتها.<sup>(29)</sup>

(27) نزار حنا الديراني، رسالة مارا بن سرافيون، عرض وتحليل، يوسف قوزي (مراجعًا)، (بغداد: المجمع العلمي، 2002).

(28) Healey, John F. Religion and Law, p. 233; Baumstark, Anton Geschichte der syrischen Literatur, mit Ausschluss der christlich-Palästinensischen Texte, (Bonn9,) 1922 :ff.

(29) تقع هذه المرحلة من تاريخ اللغة السُريانية وأدائها خارج نطاق بحثنا. للاستزادة؛ راجع:

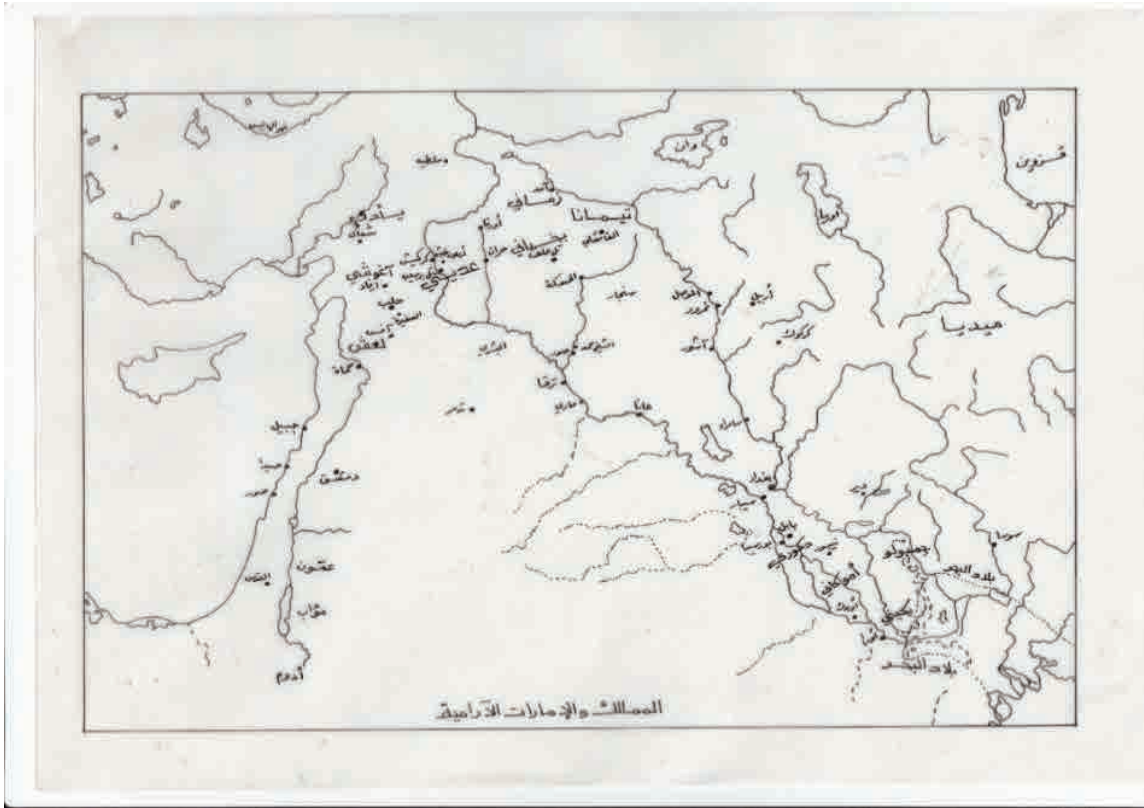
### ثالثاً: النتيجة

إن التراث اللغوي الآرامي- السُرياني القديم غني بشواهدة التي تعود إلى مراحل تاريخية متعاقبة طويلة، وتتناول موضوعات مختلفة، ولا سيما الدينية بعد اعتمادها لغة للكنيسة وطقوسها. والسُريانية وريثة الآرامية، وهما مهمتان للبحث اللغوي المقارن في اللغات السامية عامة، وتظهران تواصلًا وترابطًا واضحين مع اللغة العربية التي تدين للآرامية النبطية والسُريانية بنشأة خطها النسخي والحجازي.

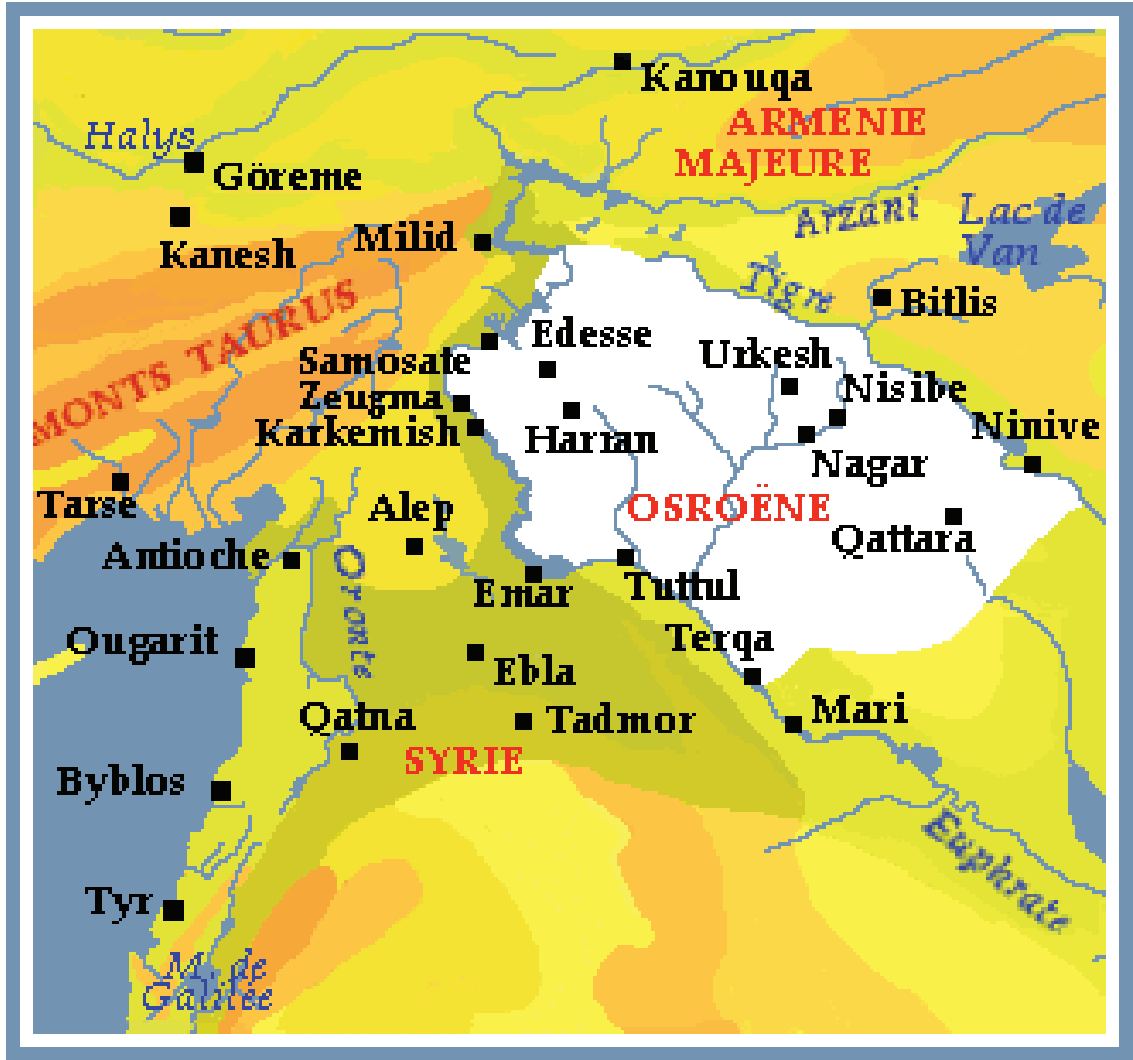
وهو تراث وثيق الصلة بتاريخ سوريا القديم، منذ مطلع الألف الأول ق.م، لذا فهو يخصّ السوريين جميعاً، ويُفترض أن يكون مصدر اعتزاز وموضع اهتمام لديهم. إنه تراث شعب أصيل عريق تاريخياً في الأرض السورية؛ بدلالاتها السياسية والطبيعية. والسُريان ليسوا بحاجة إلى تأكيد ذلك إلا في مواجهة المشككين الرافضين حقيقة أن سورية بلاد متنوعة الأعراق والثقافات واللغات منذ أقدم العصور التاريخية.

---

Baumstark, Anton, 9 -193; Brock, S. P. A brief outline of Syriac literature, (Kottayam: St. Ephrem Ecumenical Research Institute, 1997).



الشكل (1) الممالك الآرامية القديمة خلال القرنين التاسع والثامن ق.م.



الشكل (2) الإطار الجغرافي لمملكة أشورين (إديسّا/ الرُّها)

## المصادر والمراجع

### باللغة العربية

1. اسماعيل. فاروق، اللغة الآرامية القديمة، (حلب: منشورات جامعة حلب، 1997).
2. اسماعيل. فاروق، نقوش آرامية من «دور كتليمو»، (الرياض: منشورات الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الرياض، 2015).
3. الديراني. نزار حنا، رسالة مارا بن سرافيون: عرض وتحليل، يوسف قوزي (مراجعاً)، (بغداد: المجمع العلمي، 2002).
4. الذيب. سليمان بن عبد الرحمن، دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995).
5. \_\_\_\_\_، نقوش تيماء الآرامية الآرامية، ط 2، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2007).
6. \_\_\_\_\_، مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2010).
7. \_\_\_\_\_، قواعد اللغة النبطية، ط 2، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2011).
8. وافي. علي عبد الواحد، علم اللغة، ط 9، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004).

### بلغة أجنبية

1. Önal, M.- S. I. Mutlu- S. Mutlu (Ed.) Harran ve çevresi Arkeoloji, (Şanlıurfa, Şurkav Yayinlari, 2019).
2. Allchin, F. R. Norman, K. R. Guide to the Asokan Inscriptions, (South Asian Studies, 1985).
3. Baumstark. Anton, Geschichte der syrischen Literatur, mit Ausschluss der christlich-Palästinensischen Texte, (Bonn: 1922).
4. Beyer. K. The Aramaic Language. Its Distribution and Subdivisions, Transl. John F. Healey, (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1986).
5. Beyer. K. Die aramäischen Inschriften aus Assur, Hatra und dem übrigen Ostmesopotamien: (datiert 44 v. Chr. bis 238 n. Chr.), (Göttingen: Vandenhoeck &

Ruprecht, 1998).

6. Brock, S. P. A, brief outline of Syriac literature, (Kottayam: St. Ephrem Ecumenical Research Institute, 1997).
7. King, D. The Syriac World, (Routledge Handbooks Online, 2018).
8. Donner. H. W. Röllig, Kanaanäische und aramäische Inschriften. 3. Ed., (Wiesbaden: Otto Harrassowitz).
9. Drijvers, H. J. W, J. F. Healey, The Old Syriac Inscriptions of Edessa and Osrhoene: Texts, Translations and Commentary (Handbuch der Orientalistik I/42), (Leiden/ Boston MA/ Cologne: E. J. Brill. 1999)
10. Gonzales, M. E. I., P. F. Martinez: Hallazogs rupestres en torno a la Antigua rute de Zeugma a Edessa. in: Blanco, A. G. – G. M. Séiquer (Ed.) Romanizacion y Cristianismo en la Siria Mesopotamica, Antiq. Crist., (Uni. de Murcia XV, 1998).
11. Hillers, D. R., Cussini, E., Palmyrene Aramaic texts. Baltimore, (Johns Hopkins University Press, 1996).
12. Karabulut, H., M. Önal, N. Derwişođlu, Haleplibahçe Mozaikler, Şanlıurfa/ Edessa, (Istanbul: Arkeoloji ve Sanat Yayınları, 2011).
13. Müller.Thomas, Ch., Einführung in die Geschichte und Grammatik der alten aramäischen Sprache, Studienarbeit, (Uni. Erlangen-Nürnberg, Grin Verlag, 2004).
14. Niehr, H. (Ed.), The Aramaeans in Ancient Syria, (Leiden.Boston: Brill, 2014).
15. Segal, J. B., Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa, (Anatolian Studies, 1953).
16. Segal, J. B. Some Syriac Inscrptions of the 2nd-3rd Century A.D., (Bulletin of the School of Oriental and African Studies,1954 ).
17. Teixidor, J. The Kingdom of Adiabene and Hatra, (Berytus, 1967).
18. Blanco, A. G. – G. M. Séiquer (Ed.) Romanizacion y Cristianismo en la Siria Mesopotamica, Antiq. Crist., (Uni. de Murcia XV, 1998).
19. Yildiz, Efrem, The Aramaic Language and Its Classification, Kaufman, (S. A. Aramaic. Anchor Bible Dictionary).